ب ـ انتج الطغيان التجاري الخارجي لنمط الانتـــاج الرأسمالي علـــى التشكيلات ما قبل الرأسمالية آثارا اقتصادية مدمرة ، فتراجعت الصناعـــات اليدوية دون ان يحل مكانها صناعة حديثة محليـــة ، وتقدمت الاستثمارات الكولونيالية لتخلق توابع اقتصادية تتحرك في علاقة تابعة تمنعها من التحـول الى كيان اقتصادي محلي مستقل (١٢) ٠

جـ ـ لا يتجلى « التخلف » في انخفاض انتاجية الفرد ، بل في صفات بنيانية خاصة تمنعنا من الاقدام على مقارنات هجينة ، كمقارنة الوضع الراهن فـــي البلدان « المتخلفة » مع المراحل الاولى لبدايات نمط الانتاج الرأسمالي فـــي اوروبـا ٠

ان ربط التحقق المادي للقومية بنمط الانتاج الرأسمالي لا يصدر عن تقديـس للمفاهيم النظرية بل عن معاينة دور البرجوازية التاريخـي في تثوير العلاقات الاجتماعية وتوحيد المجتمع ماديا ٠ يقـول البيان الشيوعـي : « تقضـي البرجوازية باستمرار على تفتت وسائل الانتاج وتبعثر السكان والملكية ٠ فقـد كدست السكان ومركزت وسائل الانتاج وركزت الملكية في ايد قليلة ٠ وجاءت المركزية السياسية نتيجة محتومة لهذه التغيرات ٠ فالاقاليم المستقلة ، المتحـدة بالكاد فيما بينها ، والتي كان لكل منها مصالح ، وقوانين ، وحكومات ، وتعرفات جمركية مختلفة ، وحدت في أمة واحدة ، ذات حكومة واحدة ، وقانون واحد ، ومصلحة قومية طبقية واحدة خلف حدود جمركية واحدة » (١٣) ٠ فتوحيـد المجتمع اذن وارتقائه الى مستوى الامة يتأتى من فعل تاريخـي يثـور ادوات الانتاج ، علاقات الانتاج ، ومجموع العلاقات الاجتماعية ، لا من « قوة الافكار » و « سرمدية الروح القومية » ٠ والحقيقة ان شعوب آسيا وافريقيا عندمـا تناضل من أجل استقلالها السياسي والاقتصادي الحقيقيين تفرز في الوقت ذاته ذاتيا وموضوعيا الاسس المادية لقومياتها ، وتنتج الشروط الموضوعية لدفـع « الولاء البدائي » الى مرحلة اكثر رقيا ٠

لا ينبغي ان يدفعنا ، مع ذلك ، الربط النظري بين القومية ونمط الانتـــاج الرأسمالي ، الى استنتاج ميكانيكي تبسيطي : تحقق القوميـات في آسيـا وافريقيا مشروط بوصولها الى نمط الانتاج الرأسمالي ٠ فمثل هذا الاستنتـاج مرفوض للاعتبارات الثلاث الآتية :

أ ـ القومية سيرورة تاريخية ، وليست معطى جاهزا ٠

ب ـ يستحيل على البلدان الافرو ـ آسيوية بلوغ نمط الانتـاج الرأسمالي بسبب التبعية الاقتصادية التي تربطها بالامبريالية والتي تجعل نمط انتاجهـا « الكولونيالي » يحور في دائرية مغلقة بلا افق ٠ (١٤)